الصراع بين الدين والعلم في أوروبا

تطورت الأفكار في القرن 14 وبدأ الانشقاق الكبير وبدأ الاتهام الكبير بين الكنيسة والعلم وبدأ التشظي حتى جاء توماس الأكويني بتوليفة كبيرة بين العلم والكنيسة ولكن الصراع بين العلماء ورجال الكنيسة صار بشكل جاد وأعظم موضوع تم الصراع حوله دوران الأرض وأزلية العالم وبدأ غيوم الأوكامي محاربة السلطة البابوية في مؤلفه (عقائد البابا يوحنا الثاني والعشرين) لعام 1333 حيث اتهم الباب بالهرطقة. ونادى بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية وزعم بأن الإيمان والعقل ليس لهما أي شيء مشترك وعليهما أن يحترما استقلالهما الداخلي المتبادل وطرح أفكاراً بأن علم الله وعلم الطبيعة لا يسعهما الالتقاء.

وبدأ التأكيد على أن الحقائق الدينية عصية على البرهنة.

وأكدت الكنيسة بأن أي قضية يجب أن تكون متوافقة مع معطيات الوحي (أي الكتاب المقدس).

وبدأ الصراع بين الكنيسة والعلم في قدرة تحول الذرات إلى جوهر آخر؛ كأن يتحول الخبز إلى جسد المسيح وأصحاب هذه النظرية بدأوا يحولون إلى المحاكم البابوية للارتداد عن أفكارهم مثال نيكولا.

وجان لوريدان قال: لامني بعض الأساتذة لأنني أخلط بعض الاعتبارات اللاهوتية في مسائلي الفيزيائية.

وهنا بدأت حالة الصراع بين العلم والكنيسة وأحرقت الكنيسة سيكو الأنسكوني.

وبدأت الكنيسة تطالب بالإشراف الكامل على العلوم والوصاية عليه ثم إن الطلاق ما بين العقل والإيمان الذي أعلن الأوكاميون لعله كان عاملاً

لتحرر الفكر العلمي وبدأ بعض الموالين لمذهب الاسمية يهاجمون اللاهوتيين حتى وصلوا إلى الهجوم على الذات الإلهية.

ثم بدأت تقييدات دينية حيال العلم

قال عميد جامعة باريس جان جيرسون في بداية القرن 15 ما يلي: (يجهد كثيرون ويقدمون أنفسهم لكي يكتسبوا العلم ورأيت كما يقول الحكيم أن كل هذا باطل وكذلك العمل ومرارة الروح وبلواها وما هي جدوى معرفة أشياء العالم وأموره، عندما سيكون هذا العالم قد انقضى؟ ففي اليوم الأخير لن تسألوا عما عرفتم بل عما فعلتم ولن يكون من بعد علم في جهنم التي تهرعون إليها فكفوا عن هذا الجهد الباطل)[1]. وهذا عمل لتقييد العلم والعلماء. ومن ثم شهد القرن (15) احتقاراً كبيراً للمعرفة الإنسانية ولا سيما العلوم حتى قالوا لنكن (قديسين وجهلة).

وبدأ الصراع بين الأطباء واللاهوتيين المعتقدين بالمس الشيطاني وبدأ عالم العلوم ينزلق خفية خارج التحكم الكنسي وأفلت البحث في الطبيعة من رقابة الكنيسة وبدأت الروابط بين الدين والعلم تنفصم ووهن احتكار الكنيسة وعلم اللاهوت لدراسة الطبيعة، وكثرت كلية اللاهوت العراقيل ضد هذه المدارس الجديدة المهتمة بشكل العلوم ثم تقاسم المعرفة والبحث العلمي مع تشجيع السلطات المدنية وحتى الدينية.

ورغم ذلك استمرت محاكم التفتيش، وحكم على فيزال وأحرق سيرفيه حياً على يد الكلفانيين سنة 1553.

ورغم ذلك أظهر بعض رجال الكهنوت اهتمامهم بالعلوم حتى أن بعض البابوات كونوا مكتبة الفاتيكان العلمية.

---

(1) ص 388 الكنيسة والعلم.

وظهر العديد من الملا حدة وبعضهم أنكر تجسد المسيح وألوهيته مثل جان بودان جوهن هيليون الذي يعتبر الكتاب المقدس كله بمثابة (نسيج من الأساطير) أما ماثيوهاموند فيصف العهد الجديد بأنه (اختلاق بحت).

ثم وضعت إجراءات تهدف إلى التحكم ومراقبة المطبعة والناشرين والمؤلفين.

بعد مجمع ترانت تراجعت الكنيسة تراجعاً رهيباً في مضمار العلوم واستمر التحكم بالعلم من قبل الكنيسة حتى القرن 17 وإن قضية غاليلية كانت رمزاً للقطيعة بين الكنيسة والعلم وكذلك بين الإيمان والعقل ومحاكمته علنياً لأنه قال بدوران الأرض حول الشمس. ومن ثم لعن الهرطقة وأنكر دوران الأرض ثم ضرب بقدمه عند خروجه قائلاً: ورغم ذلك فالأرض تدور، ثم حكم عليه بالإقامة الجبرية.

وبعد نظرية الذرات كادت الكنيسة أن تمنع كل كتب الفيزياء وبعد القرن السابع عشر بدأت ثورة ثقافية وتمت القطيعة بين الكنيسة والعلم.

وقد وضحت فكرة محاكم التفتيش في قصة الحضارة الجزء 16 ص 90 وجاء فيها (إذا شهد ثلاثة شهود عدول عن أشخاص (ذهبوا وراء آلهة أخرى) أخرج المارقون من المدينة ورجموا بالحجارة حتى الموت).

قال بيير دبوري (إن القساوسة يكذبون حين يدعون أنهم يصنعون جسد المسيح وهم يصنعون القربان المقدس) ومن ثم أحرق كومة من الصلبان في يوم الجمعة الحزينة فقتله العامة في مكانه وأحرقوه لساعته وجاء في قصة الحضارة ج16 ـ ص 90 أن جريجوري التاسع وكان على عرش البابوية عام (1227) وقد وجد أن الضلال في ازدياد رغم المحاكمات الشعبية والحكومية والأسقفية. وشكل أول محكمة للتحقيق البابوي في عام (1227) وذكر ديورانت: (أرسل

روبرت الدفتيكي (180) شخصاً ليحرقوا أحياء ومن بينهم أسقف منح الضالين حرية أكثر مما يستحقون حتى بذل جهداً لتحويل اليهود إلى المسيحية).

برنار جوى وهو محقق في محاكم التفتيش حكم على (930) ضالاً في مدى سبعة عشر عاماً[1].

وقال ديورانت: (فلا بد أن نضع محاكم التحقيق في مستوى الحروب في هذه الأيام واضطهاداتها ونحكم عليها بأنها أشنع الوصمات في سجل البشرية كلها وبأنها تكشف عن وحشيته ولا نعرف لها نظيراً عند أي وحشي من الوحوش[2].

بدأت الجامعات تظهر عدم مبالاتها بالدين فقال أحدهم (إذا اجتمع ثلاثة في (جامعة بولونيا) يكون اثنان فيهم كافرين)[3] وقد تأثر الكثير بآراء ابن رشد (القانون الطبيعي يحكم العالم) ووجد نومس أكانوس بعد انتقاله إلى باريس أن فلسفة ابن رشد تنتشر في شباب الجامعة.

وإن سينجر بعد أن درس فلسفة ابن رشد توصل إلى آراء ملحدة وأدين وسجن في إيطاليا ثم اغتيل.

وبدأ الصراع بين الفلسفة والدين في الجامعات الأوروبية فبدأ بعضهم يفضل أفلاطون على أرسطو ثم بدأت مرحلة التوفيق بين الفلسفة والدين على يد ألبرت اللوثري.

واللوثرية بدأت عملية إصلاح للكنيسة وهجوماً على الكاثوليكية والبابوية.

---

(1) قصة الحضارة ص 103 جـ 16.

(2) ديورانت ـ قصة الحضارة ص 106 جـ 17.

(3) ديورانت ـ قصة الحضارة ص 106 جـ 17.

وظهرت مادية هوبز وكانت سابقة لمادية لافري بقرن، وقامت رسالة هيوم في الطبيعة البشرية بهجوم كبير على أفكار الكنيسة وهي قد بدأت قبل هجوم فولتير. وبدأ الهجوم على المسيحية وقد أطلق توماس وولستن ثورته التي خلت من التوفير للمسيحية في شن أحاديث عن معجزات مخلصنا. قال فولتير (لم يهاجم المسيحية قط مسيحي بمثل هذه الجرأة).

وزعم وولستن (أن بعض المعجزات لا تصدق وبعضها غير معقول).

واتهم وليم روبرتين بأن فولتير (قد يتمرغ في أقذر بالوعات التفكر الحر)[1].

ظهر جون هيوم عام (1711م) وقد تأثر جون هيوم بكل من لوك وكلارك[2].

وكتب هيوم (رسالة في الطبيعة البشرية) بجزأين توصل فيهما إلى ضرب المادة وفلسفة الروح والخلود ثم توصل إلى أن العلم تراكمات للاحتمالات المعرضة للتغير دون إنذار، والميتافيزيقيا مستحيلة إذا زعمت أنها نسق من الخصائص حول واقع مطلق فهو فيلسوف الشك.. وفي العقل اعتبره أنه عبد للعواطف.

وأكد على أن قانون التجاذب الاجتماعي هو عام ومنبر في العالم الأخلاقي شأن قانون الجاذبية في الكون المادي. وكتب في السياسة والاقتصاد والتاريخ وغاليلو ولد عام 1564 ـ 1642 في بيزا. ويعتبر أعظم الفلكيين في عصره. وأكد عام (1615)م أن الأرض تدور على محورها كما تدور حول

---

(1) قصة الحضارة ج35 ص 179.

(2) قصة الحضارة ج 35 ص 201.

الشمس مما أدى إلى أن أصدرت المحكمة الكنسية في 5 مارس عام (1615) قائلة (إن الفكرة التي تقول بأن الشمس تقف بلا حركة وسط الكون فكرة سخيفة وهي من الناحية الفلسفية فكرة زائفة، وهي كذلك هرطقة لا جدال فيها لأنها تناقض النصوص المقدسة، والفكرة التي تقول بأن الأرض ليست مركزاً للكون بل حتى أنها لها دورة يومية زائفة من الناحية الفلسفية، وأنها على الأقل اعتقاد خاطئ وأصدرت تعاليم بهرطقة هذه المقولات[1].

ثم أصدرت لجنة التحقيق في كتاب جاليليو (أن نظرياته أشد خطراً على الكنيسة من هرطقات لوثر وكلفن) وحظرت الكنيسة والمحكمة بيع كتاب المحاورات لجاليليو وأحضر إلى المحكمة ثم اعترف بأن الأرض لا تدور وأن الشمس هي التي تدور على رأي بطليموس.

ولكن المحكمة أصدرت قراراً بإدانته بالهرطقة والتمرد والعصيان وعزمت عليه الغفران شريطة تأدية القسم علناً أمام الجمهور بالتخلي عن آرائه وأعلن (بقلب مخلص، وإيمان صادق ألعن وأبغض وأعلن التخلي عن الأخطاء والهرطقة المنسوبة إليَّ) وعند مغادرته المحكمة غمغم متحدياً وضرب بقدمه وقال (ومع ذلك فهي تدور فعلاً).

وبدأ الشكاكون بمناقشة فكرة وجود الله وليس الكاثوليكية وبدا عصر العقل ينهي عصر الإيمان في أوروبا. وتكون في باريس مجموعة (المفكرون الأحرار) 50 ألف ملحد في باريس. وهذا ما قاله أوزبوش تابيرو في كتابه (المحاورات) وصرخ فرانسوا قائلاً: (إن معرفتنا هراء في هراء، وإن حقائقنا خيالات وأوهام لاهوت، وإن دنيانا بأسرها.. مهزلة متصلة).

---

(1) قصة الحضارة ج30 ص 875.

صرح فولتير قائلاً: (إذا كان الناس فلاسفة يتعشقون الحكمة ويمارسونها فلن تعود ثمة حاجة إلى الديانة ويمكن أن تعيش المجتمعات بمقتضى علم أخلاقي طبيعي مستقل عن اللاهوت أو الدين وقال (بين جدران المعبد صنعت المعاول التي حطم بها المعبد) علماً أن ديكارت وفولتير ورينان وأناتول فرانس قد درسوا في بواتييه القانون المدني والقانون الكنسي وتابع ديكارت دراسته في تطبيق المنهج الرياضي في الفلسفة. قال ديكارت في رسالة إلى مرسين (حتى كدت أعقد العزم على أن أحرق كل مخطوطاتي، ولكنني لن أنشر شيئاً يتضمن كلمة واحدة تغضب الكنيسة).

كلمات كلها خوف من محاكم التفتيش واتهامه بالهرطقة ثم قال وكان شعاره (يعيش سعيداً من يتوارى عن الأنظار ويتكلم كثيراً) وفي عام 1663 أدرجت كل كتبه في قائمة الممنوعات التي تصدرها الكنيسة.

ثم ظهر توماس الأكويني (توماس أكوناس).

حاول التوفيق بين أرسطو والمسيحيين واعترف أنه يريد مقاومة فلسفة ابن رشد (العقلانية) ويعترف صراحة بما يأخذه من غيره فهو يقتبس من ابن سينا والغزالي وابن رشد وإسحق الإسرائيلي وابن جبرول وابن ميمون للتوفيق بين العقل والدين وأخذ عن ابن ميمون من كتاب دلالة الحائرين.

وكان يشارك الصوفيين في الشوق إلى الاتحاد مع الله وتنبأ بأن أوروبا مقبلة على عصر العقل وألف كتاباً عن الطبيعة والكائن والجوهر (خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين) في أربعة مجلدات وكتاب (خلاصة اللاهوت) وتوصل إلى وصف الله عز وجل متأثراً بابن رشد وبالفلسفة الإسلامية قال (إن أرقى ما نستطيع تحصيله من معرفة عنه (الله) في هذه الحياة أنه فوق كل ما يمكن أن يدور بخلدنا عنه).

ثم اعتبرت عام 1921 مؤلفات توماس الفلسفة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية واعتبر ابن سينا وابن رشد وأرسطو أنهم هم الذين بثوا جراثيم النزعة العقلية في أوروبا المسيحية[1].

لقد أوصلت النزعة العقلية لبعض الفلاسفة مثال الدنزي في انجلترا الذي لا يستطيع إثبات المسيح كله ويطلق عليه (الأبله البليد، المعنى وسجن ثم أطلق سراحه ودفن في أكسفورد) في عام 1488 أصدر حكم في هرطقة تسعمائة وثمانين وأحرق منهم مائة وتقديرات الذين احرقوا حتى عام 1889 ثمانية آلاف وثمانمائة أحرقوا لأنهم اتهموا بالهرطقة وكانت الغاية تخلص أسبانيا خاصة من الهرطقة الصريحة.

وقد أكرهوا (235) ألفاً من اليهود على المسيحية أو النفي. وأحرق الكاردينال ريشيليد (3) ملايين من المسلمين في أسبانيا والبرتغال (أكبر حدث همجي في التاريخ)[2].

---

(1) قصة الحضارة ج17 ص 156.

(2) قصة الحضارة ج 17 ص 97.

النهضة الأوروبية الحديثة وأثرها في العلم

بدأت باكورة النهضة العلمية منذ القرن السادس عشر بترجمة الكتب القديمة اليونانية والعربية. والنهضة الدينية بدأت بثورة اللوثرية والكالفينية وهي ثورة إصلاح حاولت إيجاد مذهب جديد وهي البروتستانتية حيث قيدت هذه الثورة سلطة الكنيسة، وجرت حروب مدمرة ومن ثم بدأت الثورة الفرنسية على الإمبراطور وحولت البلاد إلى جمهورية.

وانتشرت العلوم الإنسانية كالطب والهندسة والطبيعيات والفلسفة والجيولوجيا، وكان الصراع بين المادية الجدلية التي يقودها ماركس والمثالية التي يقودها هيكل وانتشرت الجامعات، وكثر الطلبة في كل أنحاء أوروبا.

ومن ثم بدأت الثورة الصناعية التي تبنت النظام والاقتصاد الرأسمالي الليبرالي، وكان هجوم الأتراك عام 1693 على فيينا وإخفاق الدولة العثمانية في تلك المعركة قد أوجد هواجس عند الغربيين أدت إلى تحرك سياسي كبير واتفاقات وظهرت قوة لويس الرابع عشر، حتى أنه قد أثار مخاوف إعادة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وبدأ صعود روسيا ببطء إلى الارتقاء إلى صف الدولة العظمى.

وظهرت نظريات لوك حول حقوق الأفراد وواجباتهم السياسية، وظهور فولتير ومونتسيكو وظهور النقد العقلاني بدأ يزعزع بشكل جذري اليقين التقليدي الموروث حول قداسة الكتاب المقدس.

كما بدأت حصة الاستعمار تزداد من البرتغال والأسبان إلى انكلترا وفرنسا وإيطاليا وكانت الكتلة الاجتماعية الأهم هم الفلاحون، وكانت الارستقراطية ومالكو الأرض (الإقطاعيون) لهم نفوذ كبير في بريطانيا

وظهرت البرجوازية في فرنسا، بامتلاك التجارة الاستعمارية وصناعة النسيج وصناعة الحديد وكل هذا نجد طبقة النبلاء وطبقات البرجوازية تزداد.. وبدأ النمو الاقتصادي يظهر مع الثورة الصناعية كما تناقلت التجارة البحرية وهي تجارة دولية وبدأت مرحلة البرلمانات ومجلس العموم ومجلس الشيوخ والنقابات في فرنسا منذ عام 1760 ولم يكن فصل بين السلطات القضائية والدولة/ وكانت الدولة راعية للدين (الاستبداد المستنير) أي بزوغ جديد للروح العسكرية والجيوش والجنود المرتزقة (المجرمون المعفو عنهم) وازدادت أساطيل الحروب. وبدأ التقدم التقني.

وأفضى بطرس الأول إلى إلغاء البطريركية..

بدأت الحروب بين الدول ـ أي استيلاء على مناطق كثيرة في العالم ـ وأفلت الإمبراطورية العثمانية على أيدي الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي فدام من 1689 إلى 1815 وكذا حرب الاستقلال الأمريكية ـ والحروب بين فرنسا وبريطانيا.

فبدأ التعليم في هذه المرحلة ينتشر بشكل كبير في القرى والمدن وتشييد المدارس التعليمية مع ظهور نظريات علمية لنيوتن وهيوم ولافوازيه وفولتير.

وجرى الصراع بين الإكليروس وبين العلماء.. وظهر لابلاس يعطي لأول مرة وصفاً للكون لم يجعل فيه أي مكان لله، وقام لوكريس يضع مفهوماً لكون ناجم عن اتحاد طارئ للذرات، مفهوماً يحذف ضرورة وجود إله خالق..

والحاصل أنه بدأ الهجوم على الاستبداد المستنير وشاعت أفكار الديمقراطية وانتشرت بحوث فلسفية في حق الملكية منها فلسفة جان جاك روسو الذي ألف كتاباً في العقد الاجتماعي، وآميل في التربية فكان لهذه

الفلسفة على صعيد الأفكار السياسية أن تدعو إلى تأسيس مجتمع مثالي أكثر بساطة وأكثر بدائية وأقل زيفاً.

كما ظهرت نظريات الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) ولمونتسكيو في روح القوانين، وظهرت نظريات كوبرنيك المتعلقة بمركز الشمس فكانت بداية العودة إلى الدين الطبيعي مع بداية الصراع بين الفلاسفة والإكليروس بل معظم المفكرين في هذه النهضة. والدعوة للعودة إلى العقائد البسيطة محررة من الاستعلاء الاكليريكيين وكل المذاهب التي اخترعوها.. فظهر في بريطانيا صاموئيل كلارك وتوماس ووليستون وماثيو تيندال يدعون إلى هذا المذهب والدين الطبيعي منهم جوزيف بريستلي عضو فرقة الموحدين الذي ألف كتاب تاريخ فساد المسيحية مع ظهور الماسونية التي كانت على وفاق مع تيارات الفكر العلماني الكبرى.

كما جاءت الحفريات الأثرية بإنسان نياتدال وإنسان هومبورغ وظهرت نظريات دارون «البقاء للأصلح».

ظهرت الأصولية في بريطانيا والحركات الصوفية الجانسنية وظهر عدم التسامح الديني بين البروتستانتية والكاثوليكية (البابا) وتمّ إلغاء الجمعية اليسوعية بعد تنامي ثورات الكاثوليك وعداواتهم للبروتستانت، إذ إنهم طُرِدُوا من البرتغال مع بداية العداء الشعبي حيال الجمعية فاضطر البابا للقيام بتنازلات هامة للسلطة الزمنية في أوروبا الكاثوليكية وجرى تحجيم للسلطات الكنسية في كل أوروبا.

كما قامت نزاعات مع الأرثوذكسية في بلاد الصرب والبلغار واضْطُهِدَ اليهودُ وحُرِمُوا من مدن كثيرة منها فيينا والعديد من مدن ألمانيا.

وانتشرت البعثات التبشيرية في الولايات المتحدة.

وانتشرت الحركة البرجوازية التي تريد أن تبقي الشعب في ظلمات الجهل دون تعليم وجرى الصراع حول العقائد الدينية والعلوم والعقلانية.

ويعتبر عصر التغيير والتطور فلسفة التنوير.

وظهرت النظريات الاقتصادية والتنظيم المصرفي وتوسع الفكر الاقتصادي للبنوك وظهر آدم سميث (ثروة الأمم).

وسجلت سنة 1780 بداية التاريخ الحديث لأوروبا.

ثم ظهرت المبادئ الماركسية التي كانت تنظم ثورة البروليتاريا في بريطانيا فظهرت في روسيا على يد لينين وستالين.

كما ظهرت مبادئ الاقتصاد الليبرالي الرأسمالي في كل أوروبا.

وظهرت الوجودية على يد سارتر وبعد ذلك ظهرت الروتاري نوادي اجتماعية والليونز والهبيين، وشهود يهوا، وعباد الشيطان.

وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية بدأت مرحلة الاكتشافات العلمية والثورة التقنية، ثم المعلوماتية في القرن العشرين وظن الكثير من العرب الذين درسوا في أوروبا أن سبب نهضتهم عندما فصلوا بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية لأن الدين كان يتعارض مع العلم والعقل والنهضة خوفاً من تناقص سلطة الكنيسة وانتهت محاكم التفتيش التي كانت تحاكم العلماء الذين يأتون بنظرية يعتقد البابا والإكليروس أنها هرطقة، وتعادي الدين المسيحي بنظرياته المعتمدة على التوراة والعهد الجديد.

وإن نظريات دارون والأفلاطونية الحديثة كونت أعداداً هائلة من الملحدين الذين رفضوا الكنيسة نهائياً. بينما لا نجد أي عداء بين الدين الإسلامي والعلم.

وهنتنغتون يعتبر الحضارة الغربية بدأت من القرن الثامن الميلادي ويخالف العديد ممن اعتبروا صعود الحضارة الغربية عندما توقف الزحف العثماني نحو فيينا عام 1693.